

## الحليات والزخارف المعمارية بواجهات بيوت عدن التقليدية

د. أسامة طلعت عبد النعيم  
قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة عدن

### الملخص

لفتت انتباهي منذ حللت بعدن قبل عام وبضعة أشهر تلك الحليات والزخارف المعمارية التي تزخر بها واجهات البيوت التقليدية في مدينة عدن القديمة (كريتر)، والتي تكسبها مظهراً جمالياً، واستدعى بعضها إلى ذهني أشكال الزخارف والحليات المعمارية في مباني وسط القاهرة بشوارع طلعت حرب وقصر النيل ومحمد فريد، وكذلك مباني ميدان الإسماعيلية وما حوله بحي مصر الجديدة. وقد نفذت زخارف وحليات واجهات بيوت عدن التقليدية بطريقتين: الأولى بالحفر على الحجر؛ والثانية بالنورة عن طريق الصب في قوالب سابقة التجهيز. وشكلت الحليات المعمارية على هيئة عقود وكوشات وأعمدة ذات قواعد وتيجان؛ كما اشتملت على كرانيش (كرانيس) علوية ووسطى قسمت الواجهات إلى مجموعة من المناطق التي تبرز التقسيم الداخلي للمبنى، وتتنوع الزخارف المعمارية ما بين الزخارف النباتية والزخارف الهندسية. وهذا البحث محاولة لإلقاء الضوء على هذه الحليات والزخارف للتعرف على أنواعها وطرزها والتأثيرات الفنية فيها، فضلاً عن توثيقها ولفت الانتباه إليها للمحافظة عليها.

**كلمات مفتاحية:** الحليات، الزخارف المعمارية، العمارة التقليدية، واجهات مباني عدن

### 1. المقدمة

تقع عدن على الساحل الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وكان لموقعها قرب المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وعلى تقاطع طرق التجارة تأثير في الروابط التاريخية والثقافية والتركيبة العرقي للسكان، نظراً للاتصال بالبلدان المجاورة للمحيط الهندي وأقاليم العرب وشمال وشرق إفريقيا<sup>[1]</sup>. وشبه جزيرة عدن عبارة عن كتلة صخرية ببيضاوية الشكل، تتوسطها فوهة بركان خامد، وتحتل مدينة عدن القديمة الجزء الشرقي من شبه الجزيرة. وعلى الرغم من التوسع العمراني الحديث لعدن إلا أن هذه المنطقة لا تزال تعرف بعدن، كما تعرف باسم (كريتر) بمعنى فوهة البركان، وهي من التسميات التي أطلقها عليها الإنجليز بعد احتلالهم لها سنة 1839م<sup>[2]</sup>.

وعرفت عدن كميناء تجاري هام منذ القدم وخلال عصور تاريخها الإسلامي<sup>[3]</sup>، وأشار المؤرخون والجغرافيون المسلمون إلى عمرانها وأسواقها ومبانيها وبيوتها، ومنهم ابن الجاور في مطلع القرن السابع الهجري (13م) وبامخرمة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري (16م)، حيث أشار كل منهما إلى الدور والبيوت الشهيرة بعدن ومنها: دار المنظر التي كانت مشيدة على جبل المنظر قبالة جبل صيرة ودار السعادة مقابل الفُرصة ودار الطويلة على محاذة الفُرصة ودار صلاح ودار البندر<sup>[4]</sup>، إلا أن هذه الدور قد اندثرت وتغيرت معالم المدينة تغيراً كبيراً، إذ شهدت المدينة منذ الاحتلال البريطاني لها في عام 1839م تطوراً عمرانياً واقتصادياً وتجارياً أدى إلى تغييرات جذرية، أفرزت ظواهر عمرانية وتخطيطية جديدة، وظهرت عمارة ذات طابع أوروبي إلى جانب انتشار عمارة تقليدية لمباني سكنية<sup>[5]</sup> ظهر بها مسحة من الطابع الأوروبي لاسيما فيما يتعلق بزخارف وحليات واجهاتها، وهو موضوع هذا البحث. وأود أن أشير هنا إلى أن هذا البحث ليس حصراً لكل المباني التي تشتمل واجهاتها على حليات أو زخارف معمارية بعدن القديمة؛ إذ أن ذلك الحصر يخرج عن قدرة شخص واحد، ويحتاج إلى فريق عمل

متكامل يضم معماريين وأثاريين ورسامين. بل هو عرض لنماذج مختارة من تلك المباني راعيت فيها التنوع الجغرافي في اختلاف مواقع المباني، كما راعيت فيها تنوع الأساليب الصناعية والزخرفية. وهو بحث يمكن اعتباره مقدمة تفتح المجال لمزيد من الدراسات التفصيلية حول هذا الموضوع، لاسيما في ضوء قلة الدراسات حوله حتى الآن.

### 1.1 هدف البحث

يهدف البحث إلى دراسة نماذج من الحليات والزخارف المعمارية بواجهات المباني التقليدية بمدينة عدن القديمة، وذلك بغرض توثيقها وتسجيلها تسجيلاً علمياً من جهة، وتحليل عناصرها الزخرفية والمعمارية للتعرف على أصولها والطرز الفني الذي تنتمي إليه من جهة أخرى.

### 2.1 منهج البحث

اتبعت من أجل تحقيق أهداف البحث منهجاً يعتمد شق منه على الدراسة الميدانية الوصفية لنماذج من البيوت التقليدية بـعدن القديمة<sup>[6]</sup> والتي يرجع المؤرخ منها إلى الثلث الأول من القرن العشرين، أما الشق الثاني فهو دراسة تحليلية للتعرف على المواد الخام والأساليب الصناعية والأساليب الزخرفية التي استخدمت في تنفيذ هذه الحليات والزخارف المعمارية، بالإضافة إلى تأصيلها وبيان الطراز الفني الذي تنتمي إليه.

### 2. الدراسة الميدانية الوصفية

يلاحظ المتجول في شوارع عدن القديمة - حتى وإن كانت عينه غير مدربة - تلك الحليات والزخارف التي تضيء على واجهات مبانيها التقليدية مظهراً جمالياً يميزها عن غيرها، ويكسوها بطابع تراثي يعبر عن مرحلة تاريخية هي أحدي حلقات تاريخ عدن الحديث، وتُمتع عين الناظر إليها حتى وإن كان لا يدرك أسباب ومكامن هذا الشعور. وفيما يلي دراسة لنماذج من البيوت التي تشتمل واجهاتها على هذا النوع من الزخارف والحليات.



لوحة (1) واجهة بيت خالد عبد اللطيف

**1.2 بيت خالد عبد اللطيف بشارع الملك سليمان**  
يقع هذا البيت في منتصف شارع الملك سليمان تقريباً، وبناء مالك يقال أنه كويتي<sup>[7]</sup> ويدعى خالد عبد اللطيف محمد، ولا يزال محتفظاً بتاريخ بنائه مسجل على شريط بارز أعلى الباب الرئيسي، ومسجل بالحروف الإنجليزية على النحو التالي: (KHALED 1924 MANZIL). ويتكون البيت من طابق أرضي وطابقين علويين وسطح يحدد هيئته درايزين من الحجر يتوج أعلى الواجهة الوحيدة، وهي واجهة شمالية شرقية تشرف على شارع الملك سليمان؛ ومطلية بطلاء أبيض وأصفر حديث، ومشيدة بالحجر المهندم أو المشذب (لوحة 1)، وتشتمل الواجهة على تكوينات حليات وزخارف معمارية رائعة.



شكل (1) زخارف الإفريز بين واجهة الطابقين الأرضي و الأول



لوحة (2) نافذة الطابق الثاني والكرانيش والدرابزين

فتحت في واجهة الطابق الأرضي خمسة أبواب، الطرفين منهم متشابهان؛ كل منهما عبارة عن فتحة مستطيلة شكلت واجهتها على الجانبين على هيئة عمود زخرفي مخلق مسطح، يعلوه شكل تاج ذو زخارف نباتية محوّرة نفذت بالحفر، ثم منطقة مربعة شكلت على هيئة قنوات رأسية محفورة تحصر فيما بينها مناطق بارزة، ويعرف هذا النوع من الحليات المعمارية في العمارة اليونانية والرومانية باسم التحويص أو (الترجيليف Triglyph)<sup>[8]</sup>، ويتوج فتحة الباب كورنيش بارز ذو واجهة مائلة ومقعرة من المنتصف، ويمتد جانباها أفقياً أعلى حلية الأعمدة الجانبية؛ في حين شكّل القسم الأوسط منه على شكل جملوني ترجع أصوله إلى العمارة اليونانية، وكان يعرف فيها باسم المثلث المرتد<sup>[9]</sup> أو الفرنتون (Fronton)<sup>[10]</sup>. أما الأبواب الثلاث الوسطى من واجهة الطابق الأرضي فهي خالية من الزخرفة، ويتوج كل منها عقد نصف دائري، ويعلو الباب الأوسط منها الشريط البارز الذي سبقت الإشارة إليه وعليه اسم صاحب البيت وتاريخ البناء.

وقد اتبعت واجهة الطابقين الأول والثاني خطة زخرفية متوازنة ومتناسقة؛ تركز على التصميم الداخلي للبيت ومردوده الخارجي في عدد النوافذ والشرفات وتوزيعها، ثم شغلت ما حولها بالحليات والزخارف المعمارية. وتبدأ من أسفل بإفريز مسطح بارز يفصل بين الطابقين الأرضي و الأول، وتشغل واجهة الإفريز زخرفة هندسية محفورة من خطوط مستقيمة أفقية ورأسية (شكل 1) كانت تسمى في العمارة اليونانية الرومانية بالزخارف المتكسرة (Frets)<sup>[11]</sup>، وتشبه إلى حد ما زخرفة الصليب المعقوف. وتنقسم واجهة الطابقين الأول والثاني رأسياً إلى ثلاثة أقسام؛ الجانبين متماثلان، ويتكون كل منهما من مساحة مستطيلة رأسياً على جانبيها حشوتان رأسيّتان غائرتان، تنتهي كل منهما من أعلى بزخرفة معمارية محفورة حفراً بارزاً على شكل سرّة أو جامّة؛ مؤلفة من شكل بيضاوي يحيط به فرع نباتي متدلي لأسفل ينتهي بورقة نباتية خماسية الفصوص (لوحة 2)، وتوجد بين هاتين الحشوتين نافذتان مستطيلتان تعلو إحداهما الأخرى؛ يحيط بواجهة النافذة السفلية - نافذة الطابق الأول - مجموعة من الحليات المعمارية البارزة، ففي أسفلها يوجد كورنيش ذو واجهة مائلة، في حين شكّل جانبيها على هيئة عمودين مدمجين بارزين لكل منهما تاج ناقوسي يعلوه طبان مزخرف بأسلوب التحويص الرأسي السابق ذكره، ويعلو ذلك كورنيش آخر مركب أكبر حجماً وأكثر بروزاً؛ ينقسم أفقياً إلى ثلاث مناطق، السفلية محدبة وهي زخرفة في الكرانيش تعرف باسم المعدولة (Cyma recta)، والوسطى مسطحة، والعلوية من الشكل المعروف باسم الشريحة أو الخوصة (Fillet)<sup>[12]</sup>. وتتشابه نافذة الطابق الثاني مع نافذة الطابق الأول إلا أنها تخلو من الزخارف المتكسرة، والكورنيش العلوي بها أصغر حجماً وأقل زخرفة.

أما القسم الأوسط من الواجهة فيرتد للداخل قليلاً، وتشغله شرفتان تعلو إحداهما الأخرى، تغطي واجهة كل منهما مشربية من الخشب، وتفصل بينهما أفقياً عتبة ترتكز على أربعة أعمدة من الطراز الدوري في العمارة اليونانية<sup>[13]</sup>؛ والعمودان الجانبيان مدمجان.

وشكلت واجهة العتبة على هيئة إفريز على الطراز الدوري يشتمل على طبالي مستطيلة تعلو تيجان الأعمدة واجهاتها ملساء؛ وتعرف في العمارة اليونانية باسم (الميتوب Metope)<sup>[14]</sup>؛ وتحتصر بينها مناطق مستطيلة مزخرفة بأسلوب التخويص، ويعلو الإفريز كورنيش ذو واجهة مركبة.

وتمتد بكامل واجهة البيت -فوق نوافذ وشرفة الطابق الثاني- حلية معمارية على هيئة كورنيش يعرف بحلية الأسنان (Dentils or Denticules)<sup>[15]</sup>، وهو ذو نتوءات مربعة متساوية الحجم ومكررة أفقياً تفصل بينها مساحات صغيرة، ثم يعلوه كورنيش ذو واجهة مائلة يفصل بين واجهة الطابق الثاني وواجهة درابزين السطح (لوحة 2).

يتكون درابزين السطح من دعائم مربعة قصيرة يعلو كل منها كورنيش، كما تشغل واجهة كل منها زخرفة هندسية محفورة على هيئة مربع تتوسط ضلعه العلوي شكل دائرة بارزة، وقد قسمت هذه الدعائم الدرابزين إلى مساحات متساوية مفرغة تشغلها برامق<sup>[16]</sup>، ويوجد بوسط الدرابزين - في المنطقة التي تعلو نوافذ الطوابق مباشرة - جدار ذو قمة مقوسة يتوجه كورنيش، وتتوسطه نافذة دائرية تحيط بها زخرفة معمارية بارزة تعرف بزخرفة تاج الغار (Corona triumphalis)<sup>[17]</sup>.



لوحة (3) بيت باصرة، الواجهة الرئيسية

## 2.2 بيت باصرة بشارع الشيخ عبد الله

يقع هذا البيت بالقرب من شارع العيدروس، وله واجهتان: الأولى رئيسية جنوبية غربية تطل على شارع الشيخ عبدالله، والأخرى جانبية جنوبية شرقية تشرف على شارع فرعي، ويتكون البيت من ثلاثة طوابق، وشيد بالحجر الشمساني المهتمد ويبدو ذلك بوضوح في واجهة الطابق الأرضي، في حين أن واجهة الطابقين الأول والثاني مكسوة بطبقة من النورة البيضاء.

وفتحت بالطابق الأرضي للواجهة الرئيسية أربع نوافذ متماثلة الحجم تتوسطهم فتحة باب (لوحة 3)، يعلو كل فتحة عقد موتور تبرز صنجاته قليلاً إلى الخارج وتبرز صنجته المفتاحية التي على هيئة شكل هندسي مثلث عن بقية الصنجات، تنتهي واجهة هذا الطابق من أعلى بكورنيش بارز على طراز المعدولة.

أما واجهة الطابق الأول فتشتمل على مجموعة من الحليات والزخارف المعمارية تتمثل في إطارات بارزة تحيط بفتحات نوافذها الست، وتبدو هذه الإطارات فوق النوافذ على هيئة عقد موتور يبرز قليلاً للخارج وواجهته ملساء خالية من الزخرفة، وهذا العقد يرتكز في الجانبين على حلية عبارة عن عمودين أحدهما إلى يمين النافذة والآخر إلى يسارها (لوحة 4)، وللأعمدة تيجان كأسية الشكل، شكلت أبدانها بهيئة ورقة نباتية ثلاثية مكررة رأسياً، أما واجهة الجزء السفلي من النافذة فتشغله زخارف حلزونية.



لوحة (4) بيت باصرة، الطابق الأول



لوحة (5) بيت باصرة، الطابق

وبكل طرف من طرفي واجهة هذا الطابق حلية معمارية بارزة بطول الواجهة مشكلة على هيئة عمود له قاعدة وبدن مزخرف بطريقة التخويص (Fillet)، وتتوسط البدن حلية ببيضاوية رأسية، وللعمود تاج ذو شكل غير تقليدي فهو مركب من قسمين: السفلي بهيئة محارة موضوعة أفقياً، والعلوي قريب الشكل من الجزء العلوي للتيجان ذات الطراز الكورنثي، وتعلو التاج حلية معمارية على شكل طبان يزين واجهتها زخرفة كأسية. ويربط بين تاجي العمودين الركنيين حلية بارزة بهيئة كورنيش أفقي ذو واجهة مشطوفة، وتتوسط هذا الكورنيش حلية بارزة عبارة عن مزهرية مسلوحة لأسفل تتدلى من جانبيها أوراق نباتية حلزونية، يعلو المزهرية إطار مربع خالي من الزخرفة الآن. وتنتهي واجهة الطابق الأول من أعلى بكورنيش بارز تشغل واجهته الزخرفة المعروفة بحلية الأسنان.

وتتشابه واجهة الطابق الثاني مع واجهة الطابق الأول فيما عدا أن الحليات الموجودة على جانبي نوافذ الطابق الثاني على شكل أعمدة زخرفت أبدانها بطريقة التخويص (لوحة 5)، وتوجد هذه الزخرفة أيضاً بواجهة الجزء السفلي من النوافذ ولكن بشكل أفقي، ويحد طرفيها زخرفة بهيئة دائرة يحدد هيئتها إطار محفور، وتنتهي هذه الواجهة من أعلى بكورنيش بارز صغير نسبياً يعلوه إفريز مسطح خالي من الزخرفة يليه كورنيش مزدوج. أما واجهة سطح البيت فهي بهيئة درابزين مشيد بأحجار أسمنتية حديثة من الواضح أنها ليست من عصر البناء.

وقد استخدم المعمار نفس أسلوب زخارف الواجهة الرئيسية في زخرفة الواجهة الجانبية غير أنها اشتملت على نافذتين فقط في كل طابق.

### 3.2 بيت بجوار مقهى سكران بشارع الشيخ عبد الله

لهذا البيت واجهة واحدة وهي واجهة شمالية شرقية تشرف على شارع الشيخ عبدالله، والبيت مشيد بالحجر وغطيت واجهته بطبقة من النورة طليت بلون أصفر، والبيت في حالة سيئة من الحفظ، ويتكون في الأصل من طابق أرضي وطابقين علويين، ومن الواضح أنه أضيف له طابق ثالث في وقت لاحق لتاريخ بنائه، إذ تختلف واجهته عن الطابقين الأول والثاني. وتشغل واجهة البيت أربع شرفات بارزة من الخشب الخرط. ومن أبرز ما يميز واجهة البيت حشوة زخرفية منفذة بالنورة ومثبتة بمنصف واجهة الطابق الأول، والحشوة على هيئة سرّة



بيضاوية يحدد هيئتها إطار بارز تشغله زخارف على شكل دوائر مكررة غائرة، وتبرز من جهات السرة الأربعة زخارف نباتية مورقة محورة عن الطبيعة، وهناك عنصر زخرفي وهو العصابة الطائرة يمتد أفقيا بمنصف السرة ويخرج عن إطارها، وسجل على القسم الأيمن من العصابة تاريخ بناء البيت وهو عام 1930م، كما سجل أسفل من السرة رقم البيت وهو رقم (4) (لوحة 6، 7)



لوحة (6) بيت بجوار مقهى سكران ، منظر عام

لوحة (7) السرة بالواجهة

## 4.2 بيت عمر أحمد عمر بازرة بشارع العيدروس

يقع هذا البيت بالركن عند التقاء شارع حسن علي بشارع العيدروس، ولذلك يشتمل على واجهتين (لوحة 8)، تشرف إحداهما على شارع العيدروس وهي الأطول، وتشرف الأخرى على شارع حسن علي، يتكون من طابقين وسطح، وهو مشيد بأحجار مشدبة أو مهندمة من البازلت الأسود المعروف في عدن بالحجر الشمساني، وعلى الرغم من خلو واجهتي البيت من أي كسوة أو ملاط مزخرف؛ إلا أن أسلوب ترتيب أحجار بناء الواجهتين وتنسيقها يضيف عليه مظهراً جمالياً.



لوحة (9) بيت عمر بازرة، تفاصيل الواجهة بشارع العيدروس



لوحة (8) بيت عمر بازرة، منظر عام

وفتحت بواجهة الطابق الأرضي المطلة على شارع العيدروس ثمان نوافذ تتوسطهم فتحة باب، وتتوجه جميعاً عقود نصف دائرية تبرز صنجاتها المفتاحية إلى الخارج على هيئة حلية قمتها مثلثة الشكل، ويتخذ مسقط بروزها شكل مثلث متساوي الساقين، ويعلو العقود إفريز مستطيل من النورة مسجل عليه بخط أسود اسم صاحب البيت. وتنتهي واجهة هذا الطابق من أعلى بكورنيش صغير نسبياً ذو واجهة مشطوفة للداخل، تعلوه مساحة مسطحة خالية من الزخرفة ثم كورنيش آخر أكبر نسبياً وهو على الطراز المعروف بالمعدولة.

وواجهة الطابق الأول عبارة عن شرفة تطل على الخارج ببانكة تتألف من ست دعامات مربعة المسقط، واثنان ركنيتان، يعلو كل منها كورنيش ذو واجهة مشطوفة، وتشغل المساحة المحصورة بين الدعامات درابزين وأحجبة خشبية (لوحة 9)، تحمل الدعامات سبعة عقود نصف دائرية تبرز صنجاتها المفتاحية للخارج على غرار صنجات عقود الطابق الأرضي، وتفتح في كوشات العقود نوافذ دائرية بواقع نافذة بين كل عقدين، وتحيط بواجهة كل نافذة حلية بارزة من النورة على شكل قرص دائري يحدده إطار، وتنقسم واجهته بواسطة أشرطة غائرة - تشع للخارج - إلى مساحات شبه متساوية. وتنتهي الواجهة من أعلى بكورنيش من طراز المعدولة.

وتتكون واجهة السطح من درابزين ذو دعامات مربعة قصيرة موزعة على مسافات متساوية، قسمت هذه الدعامات الدرابزين إلى مساحات متساوية مفرغة تشغلها برامق.

أما واجهة البيت المطل على شارع حسن على فتستمر بها الكرائيش الممتدة بالواجهة السابق ذكرها، كما تشتمل على نفس طراز النوافذ ذات العقود نصف الدائرية؛ إلا أنها تخلو من النوافذ الدائرية بكوشات عقود الطابق الأول.

## 5.2 بيت حسن علي بازرة بشارع الزعفران

يرجع تاريخ بناء هذا البيت إلى عام 1918م<sup>[18]</sup>، ويشغل مساحة كبيرة نسبياً، وهو مشيد بحجر البازلت الأسود (الحجر الشمساني)، يتكون البيت من طابقين وسطح وتشرف واجهته الرئيسية-الجنوبية الشرقية- على شارع الزعفران (لوحة 10)، وتظهر مادة البناء بوضوح في واجهة الطابق الأرضي، وفتح بهذه الواجهة أربعة عشر باباً ونافذة يتوج كل منها عقد موتور بارز بمقدار 5 سم عن سمت الواجهة، وتقتصر الحليات المعمارية بهذه الواجهة على بروز الصنجة المفتاحية لعقود أبوابها ونوافذها للخارج على شكل مسقطه مثلث متساوي الساقين؛ فضلاً عن انتهاء الواجهة من أعلى بكورنيش على الطراز المعروف بالمعدولة (Cyma recta).

أما واجهة الطابق الأول فتبدو من معاينتها الأولية أنها كانت مكسوة بطبقتين من المونة، الداخلية مونة البوميس (الزبد البركاني)؛ والخارجية أو السطحية من النورة، وتتميز هذه الواجهة بترائها الزخرفي واشتمالها على العديد من الزخارف والحليات المعمارية. وفتحت بهذه الواجهة ثمان عشرة نافذة تتوج واجهاتها عقود، وتنقسم زخارف وحليات واجهات تلك النوافذ إلى نوعين:

1- النوع الأول: وهو الأكثر استخداماً (لوحة 11) وفي هذا النوع تحيط بعقد النافذة وجانبيه حلية بارزة قطاعها نصف دائري ومخوص؛ وتبدو هذه الحلية وكأنها تنبت على جانبي النافذة من مساند أو حرمادات بارزة متدلّية لأسفل بواقع مسند بين كل نافذتين، ولهذه المساند قمة مسطحة وواجهة تشغلها زخارف نباتية من أوراق الأكانتس هي في الوسط في وضع مواجه وبالأسفل بوضع جانبي مسلوب لأسفل، هذا وبوسط عقد النافذة شكل مسند أو حرمدان بارز ذو قمة مسطحة وواجهة مائلة للداخل، وتشغل واجهته زخارف نباتية منفذة بأسلوب واقعي على هيئة وريده متعددة الفصوص وعناقيد عنب وأوراق نباتية.



لوحة (11) بيت حسن بازرة، النوع الأول من زخرفة النوافذ



لوحة (10) بيت حسن بازرة، الواجهة الرئيسية



2- النوع الثاني: وفيه تمتد أيضا الحلية البارزة ذات القطاع نصف الدائري والمخوص على جانبي النافذة وأعلى العقد الموتور الذي يتوجها (لوحة 12)، ويمتد بأعلى العقد شريط يشتمل على مجموعة من الزخارف النباتية منقذة بالحفر المجسم وبأسلوب فني واقعي؛ ويشتمل الشريط على أوراق أكانتس سواء كاملة أو أنصافها، فضلا عن ثمار الرمان وأوراق نباتية، ويبرز من وسط عقد النافذة شكل بيضاوي رأسي يحيط به إطار تزيينه أشكال دوائر بارزة ومتراصة (Drops)، ويتدلى منه فرعان نباتيان لولبيان. وعلى جانبي النافذة حلية معمارية على هيئة عمودين مدمجين تقسم كل منهما الحلية البارزة التي سبقت الإشارة إليها، وبواجهة كل منهما حشوتان (Panneau أو Panel) عبارة عن إطار مستطيل محفور ذو حواف مزوية للداخل، ولكل عمود تاج أقرب إلى التيجان الكورنثية، ويعلوه شكل طبان يزخرف واجهته شكل بيضاوي أفقي؛ ثم كورنيش هو جزء من الكورنيش الذي يتوج واجهة الطابق الأول. أما واجهة السطح فمن الواضح أنها مجددة تماما وتخلو من زخارف أو حليات معمارية.



لوحة (12) بيت حسن بازرعة، النوع الثاني من زخرفة النوافذ

## 6.2 بيت مكايي بشارع الزعفران

يعد هذا البيت من البيوت الكبيرة نسبياً من حيث المساحة، وللبيت واجهة رئيسية جنوبية غربية تشرف على شارع الزعفران (لوحة 13)، وأخرى جنوبية شرقية وهي جانبية تشرف على شارع فرعي. وهو مشيد بالحجر الشمساني المشذب، ويتكون من ثلاث طوابق وسطح.

تنوسط الواجهة الرئيسية دخلة يبلغ عمقها حوالي 1.20م واتساعها حوالي 3م، ويفتح بواجهة هذه الدخلة من أسفل الباب الرئيسي للبيت، وهو عبارة عن فتحة يعلوها عقد نصف دائري وتبرز صنجته المفتاحية قليلاً للخارج (لوحة 14). وعلى جانبي واجهة الباب عمودان على الطراز الدوري ترتكز عليهما شرفة تتوسط واجهة الطابق الأول وتبرز عنه قليلاً للخارج ولها درابزين مشيد ومطلي حديثاً، وتعلوها شرفة مماثلة تتوسط واجهة الطابق الثاني إلا أنها ترتكز على عتب أفقي يرتكز في الجانبين على مساند أو حرمادات.

وفتحت بواجهة الطابق الأرضي عشرة نوافذ كبيرة نسبياً موزعة بواقع خمس نوافذ على كل جانب من جانبي البيت، ويتوج كل منها عقد موتور تبرز صنجته المفتاحية إلى الخارج وإلى أعلى قليلاً عما حولها، وفوق كل عقد نافذة أخرى صغيرة مربعة، ولكي يميز المعمار بين واجهة هذا الطابق وواجهة الطابق الأول الذي يعلوه؛ ميز الأخيرة بجعلها بارزة للخارج بروزا قليلاً لا يتجاوز 5سم.



لوحة (14) تفاصيل الباب الرئيسي



لوحة (13) بيت مكوي، الواجهة الرئيسية



لوحة (14) بيت مكوي، تفاصيل من الواجهة الرئيسية

وتتشابه نوافذ الطابقين الأول والثاني إلى حد كبير مع نوافذ الطابق الأرضي، وذلك من حيث العدد والشكل العام، وينحصر الاختلاف في الشكل الخارجي للنافذة التي تتوسط كل جانب من جانبي الواجهة؛ إذ يحيط بها إطار بارز من النورة، وقد تم تشكيلها بأعلى النافذة على هيئة عقد مسطح أفقي ذي صنجات مسلوبة لأسفل يعلوه كورنيش بارز على الطراز المعروف باسم المعدولة (لوحة 15).

وتنتهي واجهة الطابق الثاني والمبنى من أعلى بحلية معمارية على الطراز المعروف باسم حلية الأسنان يعلوها كورنيش بارز سميك القسم السفلي منه مسطح يخلو من الزخرفة أما العلوي فهو أيضاً على الشكل المعروف باسم المعدولة. أما واجهة السطح فهي عبارة عن درابزين يتألف من دعائم مربعة قصيرة مشيدة بالحجر تحصر بينها برامق.

أما الواجهة الجانبية للبيت تتشابه مع الواجهة الرئيسية إلا أنها تخلو من الشرفات البارزة، وكذلك النوافذ ذات الإطارات المستطيلة البارزة.

### 3. الدراسة التحليلية

#### 1.3 المواد الخام

##### 1.1.3 الحجر

استخدم الحجر كمادة أساسية في بناء البيوت، وشكلت منه الكرائيش التي تفصل بين واجهات طوابق البيوت أو بأعلاها، ومنها بيت خالد وبيت عمر بازرة وبيت مكاي، والحجر المستخدم هنا هو حجر بازلي أصله صخر بركاني قاعدي يتميز بلونه الأسود الداكن، وهو الأكثر شيوعاً لتوفره في عدن، ويعرف هذا النوع من الحجارة في عدن باسم الحجر الشمساني نسبة لجبل شمسان<sup>[19]</sup> أكبر وأشهر جبالها.

##### 2.1.3 النورة

استخدمت النورة كملاط لكسوة واجهة بعض البيوت لاسيما في الطابقين الأول والثاني، كما تم تشكيلها بواسطة الصب في قوالب لتتخذ أشكال زخارف نباتية أو حليات بالواجهات كما هو الحال في بيت باصرة وبيت حسن علي بازرة. والنورة مادة بيضاء تستخدم في صنع أنواع من الملاط والطلاء. وهي في الأصل حجر جيرى (كربونات الكالسيوم) يسخن في أفران خاصة لإنتاج الجير الحي (أول أكسيد الكالسيوم) ثم يضاف الماء لتكوين النورة التي تكون على شكل عجينة تبدأ مباشرة بالتفاعل مع ثاني أكسيد الكربون في الجو. وعجينة النورة لا يمكن تخزينها ويجب استخدامها فوراً. ومن أهم ميزات استخدام النورة في الملاط هو القوة، إذ أن ملاط النورة يلتصق بالحجر أو الطوب الذي يبني معه ويزداد قوة بمرور الزمن. كما أن النورة مقاومة للتعرية المائية والهوائية وشدة الإشعاع الشمسي، وبالتالي التقليل من كمية الحرارة المكتسبة في المبنى وذلك من خلال الانعكاس لأغلب الأشعة الشمسية<sup>[20]</sup>. وهي بذلك متوافقة مع مناخ عدن الحار والمشمع بالرطوبة.

#### 2.3 الأساليب الصناعية

استخدمت في تنفيذ الزخارف والحليات بالواجهات طريقتين رئيسيتين: الأولى هي طريقة النحت أو الحفر واستخدمت في الزخارف والحليات المنفذة في الحجر مثل الكرائيش وحلية الأسنان والصنجات المفتاحية البارزة بال عقود وتوجد أمثلتها في بيت خالد وبيت مكاي، أما الطريقة الثانية فهي طريقة الصب في قوالب سابقة التجهيز، وهي الطريقة التي اتبعت في الزخارف والحليات المنفذة بالنورة، وتوجد أجمل أمثلتها في بيت باصرة وبيت حسن علي بازرة.

#### 3.3 الأساليب الزخرفية وطرز الحليات والزخارف

##### 1.3.3 الأساليب الزخرفية

تشتمل زخارف الواجهات على العديد من العناصر الزخرفية، منها العناصر النباتية المؤلفة من الفروع النباتية وعناقيد العنب وثمار الرمان وأوراق الأكانتس وزخرفة تاج الغار وغيرها، فضلاً عن أشكال السرر والمزهريات، وأبرز ما يميز هذه الزخارف أنها ممثلة بأسلوب واقعي، وهي جميعها منفذة بالنورة، ومن أمثلتها زخارف واجهة بيت باصرة وبيت حسن علي بازرة. كما اشتملت زخارف الواجهات على أشكال هندسية من مربعات ودوائر وأشكال بيضاوية كما في بيت خالد.

##### 2.3.3 طراز الحليات والزخارف

إن تتبع الأصول الفنية ونوع الطراز الفني لهذه الحليات والزخارف يعد أمراً واضحاً في ضوء استرجاع الخلفية التاريخية لعدن خلال الفترة التي شيدت خلالها البيوت موضوع البحث، وهي الثلث الأول من القرن العشرين، وكانت عدن خلالها تحت الاحتلال الإنجليزي؛ وتتبع الهند أو بومباي إدارياً حتى سنة

1932م<sup>[21]</sup>، ويمكن القول أن طراز هذه الحليات والزخارف هو طراز وافد أوروبي-هندي، يعرف في تاريخ العمارة باسم الطراز الأوروبي الكولونيالي<sup>[22]</sup>، وهو هنا تحديداً طراز العمارة وزخارفها الذي كان يعرف في الهند باسم طراز مستعمرة أو مستعمري الهند (Colonial Indian Style)، وهو طراز تكون في الهند، وظهر بوضوح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وجمع بين طراز عمارة عصر النهضة الأوروبي بشكل أساسي، إلى جانب بعض عناصر عمارة الهند الإسلامية المستوحاة من الطراز المغولي الهندي، ولما كانت عمارة وفنون عصر النهضة قامت أساساً على استلهام وإحياء عناصر ومكونات الطراز اليوناني الروماني، والذي كان يتميز بالواقعية، لذلك انتقلت هذه السمة إلى فنون عصر النهضة، وانتقلت منه إلى الطراز الكولونيالي في الهند وعدن<sup>[23]</sup>، وفي ذلك ما يفسر واقعية الزخارف النباتية بواجهات بيوت عدن التي تناولها البحث، ويفسر كذلك أشكال عناصر الحليات المعمارية ومسمياتها المختلفة.

#### 4. الخلاصة

أرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى ضوءاً ولو قليلاً على أحد العناصر الهامة في بيوت عدن التقليدية القديمة ذات القيمة التراثية والفنية، وتعتبر البيوت التي تناولها البحث عن تراث وعمارة إحدى مراحل تاريخ عدن الحديث إذ تؤرخ بالتلث الأول من القرن العشرين، وقد شيدت هذه البيوت بالحجر الشمساني المحلي، وعلى الرغم من عمارتها التقليدية إلا أن واجهاتها اشتملت على حليات وزخارف معمارية ذات تأثير فني وافد (أوروبي-هندي)، عبر عن المرحلة التاريخية من جهة، واحتوى العديد من العناصر والزخارف التي أضفت على هذه البيوت قيمة فنية وتراثية. وقد شكّلت هذه الحليات والزخارف إما من مادة البناء وهي الحجر أو بإضافة كسوة من النورة. وقد ألقى البحث الضوء أيضاً على أسماء العناصر والحليات المختلفة لعلها تقيد مستقبلاً في مزيد من الدراسات حول هذا الموضوع.

#### 5. التوصيات

لا يفوتني في ختام هذا البحث بأن أوصي الأخوة القائمين على شئون الحفاظ على التراث في عدن بأن يولوا هذه البيوت اهتمامهم، وعلى الرغم من أن هذه البيوت ملكية خاصة، إلا أن ذلك لا يمنع من تبني مشروع لتوثيقها والتعريف بها بل وترميمها إن أمكن، فبعضها في حالة سيئة من الحفظ، والبعض الآخر في طريقه إلى ذلك.

#### 6. الحواشي والمراجع

- 1- بيضاني، إيمان محمد عوض، "عدن جوهرة اليمن"، ضمن أعمال "ورشة عمل حول حماية الآثار والمعالم التاريخية في عدن وصيانتها"، أبريل 2004م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، د.ت، ص 13، 14.
- 2- مكاي، هيفاء عبدالقادر، التحصينات العسكرية لمدينة عدن في الفترة الإسلامية دراسة تاريخية أثرية معمارية، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2007م، ص 6، 7.
- 3- لمزيد من المعلومات عن جغرافية عدن وتاريخها انظر على سبيل المثال: ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن أحمد، صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوففرين، الطبعة الثانية، منشورات المدينة، صنعاء، 1986م؛ بامخرمة، أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهل، الطبعة الثانية، منشورات المدينة، صنعاء، 1986م؛ محيرز، عبد الله أحمد، العقبة - دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن، مؤسسة 14 أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، عدن، د.ت؛ سارجنت، ر. ب، "مينائي عدن والشجر في العصر الإسلامي الوسيط"، ضمن "دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي"، ترجمة نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 2002م.
- 4- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص 110، 111، 115؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص 10-13.

- 5- مبارك، صالح محمد، العمارة التقليدية والتنمية العمرانية في مدينة عدن بين الأصالة والمعاصرة، أبحاث الندوة العلمية الأولى حول العمارة اليمنية وتحديات العصر، دار جامعة عدن للنشر، 2008م، ص 334.
- 6- أود في هذا المقام أن أتوجه بجزيل الشكر وخالص التقدير للمصديق العزيز الأستاذ سامر عبد الباري وزوجته الأخت هيفاء مكايي الزميلية بقسم الآثار؛ وذلك للعون الكبير الذي قدماه لي، واصطحابي أكثر من مرة لزيارة المباني موضوع الدراسة والتعرف عليها.
- 7- باطويل، رجا، أعمال المسح الأثري في محافظة عدن، حولية الآثار اليمنية، العدد الأول، 2008م، ص 73.
- 8- عزيز، حلمي، وغيطاس، محمد، قاموس المصطلحات الأثرية والفنية (إنجليزي-فرنسي-عربي)، راجعه أ.د. محمد عبد الستار عثمان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1993، ص 116، وشكل (9).
- 9- مصطفى، صالح لمعي، عمارة الحضارات القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 96.
- 10 -Amiet ,Pierre et Noblecourt, Christiane Desroches, La Grammaire des formes et des styles Antiquite, Fribourg, Suisse, 1981, p. 362
- 11 - عزيز، قاموس المصطلحات، ص 49.
- 12- عزيز، قاموس المصطلحات، ص 32، 46 وشكل (18).
- 13- مصطفى، عمارة الحضارات القديمة، ص 89 (والأشكال الخاصة بها).
- 14 -Amiet , La Grammaire des formes, p. 570
- 15 - عزيز، قاموس المصطلحات، ص 35.
- 16- برامق ومفردها (برمق) كلمة تركية معناها (أصبح)، وقد أطلقت هذه التسمية في الأصل على الوحدات الخشبية الصغيرة المستخدمة في صناعة المشربيات؛ ثم استخدمت بعد ذلك وحدات بذات الشكل ولكن أكبر حجماً من الجص أو الخشب أو الحجر المنحوت لتشغل الفراغات الواقعة بين القوائم والعوارض في الدرابزين، سواء كان درابزين سلم أو درابزين سطح.
- 17- عزيز، قاموس المصطلحات، شكل (11).
- 18- باطويل، أعمال المسح، ص 71.
- 19- مكايي، التحصينات العسكرية لمدينة عدن، ص 139.
- 20- رموضه، سالم عوض، مبارك، صالح محمد وحنشور، أحمد إبراهيم، "الخصائص الهندسية لمدينة شبام"، ضمن، الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت، عدن، 1988، ص 7؛ مبارك، العمارة التقليدية، ص 344.
- 21- محيرز، العقبة، ص 11.
- 22 مبارك، العمارة التقليدية، ص 334.
- 23- Morris, Jan, Architecture of the British Empire, London, 1986, p. 134.